الثبات على الحق
الشيخ المجاهد
أبو سليمان العتيبي
حفظه الله
القاضي الشرعي لدولة العراق الاسلامية
مجموعة الأنصار البريدية
www.ansar-jihad.net

ورشة عمل البراق/ المشروع السادس و العشرون
تفريغ خطاب

الثبات على الحق

محاضرة للقاضي الشرعي لدولة العراق الإسلامية
(أبو سليمان العتيبي – حفظه الله)
الثامن عشر من ربيع الثاني لعام ١٤٢٨ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

٠٢:٣٢ إن الحمد لله نستعينه ونستهديه ونستغفره ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلله فلن تجد له ولياً مرشدا وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليماً كثيرا.

يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديدا يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيما.

٠٣:٤٠ أما بعد أيها الأحبة في الله فسلام الله عليكم ورحمته وبركاته ومغفرته...

أيها المسلمون فإن مما لا شك فيه أن الأمة الإسلامية في هذه الأيام في جميع أقطارها تعيش معركة عظيمة بل معركة عصيبة قال تعالى :

{هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُؤُوسِهِمُ الْحَمِيمُ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ﴿٢٠﴾وَلَهُم مَّقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ}[الحج:١٩-٢١]

هذه الخصومة التي ذكرها الله عزّ وجلّ هي بين المسلمين والكفار، فالذين كفروا قطعت لهم ثياب، وهذه المعركة أيها الأحبة لا بدّ أن نعلم جميعاً أنه يجب علينا أن نكون منها على أهبة وعلى إستعداد ولا شك أن الكفار يضغطون على المسلمين؛ سواء كانت المعارك في ميادين الحرب الفكرية باللسان أو حروب السنان فإن دين الله جل و علا باقٍ، و فقد جاء في الصحيحين في حديث متواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين) وفي رواية (يقاتلون في سبيل الله لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم حتى يأتي الله أمر الله -تبارك وتعالى- وهم على ذلك). وأمر الله تبارك وتعالى في عقيدة أهل السنة والجماعة هو أن يأمر الله عز وجل تلك الريح فتقبض أرواح المؤمنين فلا يبقى في الأرض إلا شرار الخلق وعليهم تقوم الساعة.

٠٥:٣٧ أيها المسلمون هذه المعركة لا بد أن نعلم نحن ونحن نعيشها وسواء من حيث نشعر أو لا نشعر أن علينا واجباً عظيماً في هذه المعركة، بل هو واجب عيني فرض عين على كل أحدٍ منّا ألا وهو أن نواجه هذه المعركة بالثبات على دين الله جل وعلا، الثبات على دين الله جل وعلا ... فلا نغير ولا نبدل ولا نقدم ولا نؤخر، {مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ} - أي أجله ومات من الصحابة {وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ}- ما صفة الذين انتظروا؟ قال تعالى: {وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً}[الأحزاب:٢٣].

٠٦:٢٩ فهم ثابتون صامدون على دين الله عزَّ وجلَّ في حياة النبي صلى الله عليه وسلم وبعد وفاته، ولهذا كما قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: إنما كانت الحجة القاطعة في إجماع الصحابة إذ لا يمكن ضبط الإجماع إلا به، لماذا؟ لأنهم ساروا على منهج النبي صلى الله عليه وسلم فكان بالتالي إجماع الصحابة حجة قاطعة إلى قيام الساعة لأنهم ثبتوا على دين الله عزَّ وجل، وما بدلوا وما غيروا.

٠٧:٠٧ أيها المسلمون.. من سلاح الشيطان الذي يثبط به عباد الله جلّ وعلى عن هذه العبادة العظيمة .. عن هذه الفريضة العظيمة وهي الثبات على دين الله جلّ وعلا، الشيطانُ يستهوي المؤمنين ويضع في وجوههم سلاحاً عظيماً؛ ألا وهو سلاح الفتنة، يقول الله عزّ وجل: بسم الله الرحمن الرحيم

{الم﴿١﴾أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴿٢﴾وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ}[العنكبوت:١-٣]

وعلم الله جل وعلا هو ظهوره للناس وإلا فإن الله صادق قبل إيجاد الخلق علم الله عزّ وجل هو ظهوره للناس فليعلمن الله، يتبين المنافق، يتبين الصادق .. كيف يكون هذا؟ بالفتنة بالمحنة {وَلَقَدْ فَتَنَّا} و مادة "فتن" في اللغة من التمحيص، فتن رجل حديداً أي نحسه بالنار، وهذا التمحيص يخرج منه المؤمنون الصادقين

ويسقط فيه المنافقون الكاذبون، و أخرج الإمام مسلم رحمه الله تعالى في صحيحه من حديث ظفر الحضرمي عن أبي ادريس الخولاني عن حذيفة رضي الله عنه، (حذيفة ابن اليمان) وما أدراكم ما حذيفة- راوي الفتن كما قال الحفاظ من أهل الحديث، الذي حفظ الفتن عن النبي عليه الصلاة و السلام، قال في هذا الحديث:

كان الناس يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني.

فقلت: يا رسول الله، انا كنا في جاهلية وشر، فجاءنا الله بهذا الخير -الذي هو نور النبوة {قَدْ جَاءكُم مِّنَ اللّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ}-، فهل بعد هذا الخير من شر؟ ... قال: (نعم).

ما اكتفى حذيفة .. قال يا رسول الله فهل بعد هذا الشر من خير -لعله يدركه؟... قال: (نعم، وفيه دخن).

إذن شر؛ جاهلية .. ثم خير، بنور النبوة .. ثم شر ثم خير و فيه دخن، هذه هي الفتنة هذا هو سلاح الشيطان يريد أن يضل الناس بالفتنة.

فسأل عنها حذيفة رضي الله عنه ... قال قلت: وما دخنه يا رسول الله؟... قال: (قوم يستنون بغير سنتي، ويهدون بغير هديي، تعرف منهم وتنكر). إلى آخر الحديث.

٠٩:٤٩ وجاء في الصحيحين عن حذيفة رضي الله نفسه أنه كان عند عمر في زمن خلافة عمر رضي الله عنه وما أدراكم ما عمر الذي كان يسأل حذيفة رضي الله عنه كما عند الفريابي[1] بإسناد صحيح عن حذيفة قال كان عمر يسأله ... كان يسأله عمرو يقول: "أعدني رسول الله من المنافقين[2]" ؟ كان عمر يخاف على نفسه من هذه الفتنة حتى لا يزل ولا يزيغ يريد الثبات على دين الله عز وجل وهو موضوع كلمتنا.

"أَعدّني رسول الله صلى الله عليه وسلم من المنافقين؟" هو لا يأمن أن يكون من المنافقين ولكن نحن نعلم من سيرته ومن تزكية النبي عليه الصلاة والسلام أنه ليس منهم، فقال حذيفة: "لا وألف لا لست منهم ولا أقول لأحد غيرك". هذا أمين سر النبي عليه الصلاة السلام.

١٠:٤٢ و الشاهد أنه قال عمر رضي الله عنه في مجلسه: :"أيكم يحفظ حديث الفتن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم؟". فقام قوم وقالوا ... فقام بعضهم عند عمر بن الخطاب فقال: "أنا يا أمير المؤمنين". ولكن عمر

[1] محمد بن يوسف الفريابي
[2] أي : هل اعتبرني من المنافقين ؟

أدرك ما فهمه هذا الرجل فقال: "لست أسألكم عن فتنة التي تبعدك عن الصلاة والزكاة والصيام".. يعني فتنة النساء فتنة صغار المعاصي التي تكفر بهذه الأعمال الجليلة،لا أسأل عن هذه، فقال حذيفة رضي الله عنه "أنا أخبرك بها"، و عمر يقصد حذيفة-راوي حديث الفتن- قال: " أنا أخبرك بها يا أمير؛ بينك وبينها باب". فقال عمر رضي الله عنه : "يا حذيفة أيفتح هذا الباب أم يكسر؟". قال: "لا بل يكسر".

ثم سُئل حذيفة رضي الله عنه: "أكان عمر رضي الله عنه يدري ماهو الباب؟"، قال: "أجل هو الباب"... رضي الله عنه "و أما أنه يكسر فلا يغلق إلى قيام الساعة". الذي يفتح يغلق بطبيعة الحال، لكن الذي يكسر لا يغلق .

١١:٥٠ و بهذا بموت عمر رفع السيف في أمة محمد صلى الله عليه وسلم اسمعوا أيها الإخوة من بعد وفاة عمر رضي الله عنه رفع السيف فلن يوضع إلى قيام الساعة فمن قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله هكذا قال نبينا عليه الصلاة والسلام، وقعت الفتن بعد عمر، هذه الفتن التي أخبر عنها رسول الله عليه الصلاة والسلام وبلغها حذيفة وجزء منها بلغها أبي هريرة رضي الله عنه، ما موقف المسلم منها؟

لماذا نرى كثيراً من الناس اليوم لا يثبتون أمام الفتنة، والله فتن بسيطة تمر ببعض الناس ولا يثبت لماذا هذا؟ أليس هذا خلل في أنفسنا أليس هذا بسبب تفريطنا في اتباع سنة النبي صلى الله عليه وسلم كما فهمها سلف الأمة؟ الجواب في كل هذا: بلى .. بلى .. بلى.

١٢:٤٧ إذن ما هو الحل؟ لماذا سقط هؤلاء الناس؟ يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في رسالته [أسباب وقوع الناس في الفتن]، يقول وإنما حاصل كلامه رحمه الله تعالى ورضي عنه .. حاصل كلامه: "و إنما يقع الناس في الفتن إما بترك الحق أو بترك الصبر عليه"، إما يترك الحق و لا يلحق .. يتركوه، و إما أن لا يصبروا.. يعني يتبعون الحق ولكن لا يصبرون عليه، و لهذا قال الله عز و جل: {وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ}، هذا لا يكفي .. {وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ}[العصر:٣] و هذا بالنسبة للإنسان كما بين الإمام المجدد محمد عبد الوهاب رحمه الله في رسالته: الأصول ثلاثة و المسائل أربع (العلم و العمل و الدعوة و الصبر)..علم و عمل و دعوة و صبر، كما قال تعالى: { وَالْعَصْرِ﴿١﴾إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴿٢﴾إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴿٣﴾ }[العصر:١-٣].

هذا الحق .. هذا الحق، كيف نعرفه؟ كيف نعرفه؟ بينه النبي صلى الله عليه وسلم إما بياناً صريحاً لا يقبل التأويل وإما أنه عليه الصلاة والسلام بين لنا سبل الوصول إليه، أبداً لا يمكن للنبي صلى الله عليه وسلم أن يكون قد ترك حقاً و لم يرشدنا إليه أولم يرشدنا إلى طريقة الوصول إليه، إما أن دلنا عليه بالتسمية هل هذا الأمر حق[1] أو أنه دلّنا على الطريقة للوصول إليها، لهذا سنعرف بعد قليل القواعد التي بها يعرف الحق و لا يجب للإنسان أن يتبع غير هذا الحق. كيف يكون؟

١٤:٣٦ أيها الأحبة لا شك أن المسلمين اليوم يواجهون من أعداء الله جلَّ و علا باباً من أبواب الشهوات .. بل أبواب كثيرة، وكذلك يواجهون أبواب الشبهات ولهذا لا بدَّ أن يكون عند الإنسان علمٌ يواجه به عروض الشبهات .. تعرف الشبهة أي تزيل الشبهة عند حصول العلم عندك، وأن يكون عنده إيمان بالله جلَّ وعلا حتى يستطيع أن يتقي به عارض الشهوات والشرّ إنما يدخل على الإنسان من أحد هذين البابين، إما أن يكون جهل؛ جهل .. لا يعلم الإنسان فهذا باب الشبهات، وإمَّا أن يكون غي والعياذ بالله وعدم إيمان بالله و هذا باب من أبواب الشهوات.

وقد نفى الله عز وجل كلا الأمرين عن نبينا صلى الله عليه والسلام { وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ } عنده علم .. {وَمَا غَوَى﴿٢﴾}[النجم:١،٢] من أين هذا العلم، وكذلك باب الشهوات أخبر عنه صلى الله عليه وسلم بنصر الله عز و جل {مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى}[النجم:٢]، والنبي صلى عليه وسلم لا شك أنه قدوتنا في هذا الباب، فإذن من أراد أن يتحصن بدين الله عز وجل وأن يثبت على دينه وأن يتقي باب الشهوات والشبهات أن يتبع سبيل النبي عليه الصلاة والسلام سبيل المرسلين، كما قال الله عز و جل في سورة الأنعام لما قص الأنبياء و عدهم و عد جلة منهم، قال: {أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ}[الأنعام:٩٠] أي أمر النبي صلى عليه وسلم أن يقتدي بهؤلاء الأنبياء، و ابراهيم عليه السلام كذلك لما قال الله عز وجل: {إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتاً لِلّهِ حَنِيفاً وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴿١٢٠﴾ شَاكِراً لِّأَنْعُمِهِ}[النحل:١٢٠،١٢١]، ثمّ قال الله عزَّ وجلَّ:{ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً}[النحل:١٢٣].

١٦:٣٦ فيقتدي بهؤلاء الأنبياء، والنبي عليه الصلاة والسلام لا شك أنه خاتم الأنبياء والمرسلين، وأن دينه مهيمن على هذه الأديان، فالواجب أن نقتدي بالنبي عليه الصلاة والسلام وأن يسير على هديه وعلى فهم سلف

[1] حصل خطأ و استدراك عند هذه الجملة " هل هذا أمرٌ خير، أو حق .. عفواً .. أن هذا الأمر حق "

هذه الأمة، لا يمكن أن ينجوَ الإنسان و يفهم الكتاب والسنة على غير ما فهمه السلف وعلى رأس السلف كما تقدم الصحابة رضي الله تعالى عنهم أجمعين، (فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، فعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار).

١٧:١٨ أيها الأحبة عندما يترك الناس الصبر و لا يثبتون على الحق .. ماسبب هذا؟

قلنا أن الشر إما أن يأتي من ترك الحق أو ترك الصبر، ولهذا أسباب كثيرة أهمها أن الإنسان لا يهيء نفسه لهذه الفتن التي تأتي. من المؤسف أن نجد كثيراً من الناس ما هيء نفسه لعروض الفتن التي تكون من أعداء الله عز وجل أو من غير الأعداء، فتن من الشيطان فتن في الشهوات في الشبهات .. فتن تعمُّ الناس و فتن تطم.

حصل في عهد الصحابة كثير منها، ما العاصم من هذا ؟؛ أن يلتزم الإنسان و يهيء نفسه، و لهذا في صحيح البخاري ، من حديث الزُّبُري عن عروة بن عن عائشة في قصة بدأ الوحي وأن النبي عليه الصلاة والسلام لّما رجع إلى خديجة رضي الله عنها وقال: (زمِّلوني زمِّلوني) وذهبت به إلى ورقة بن نوفل ماذا قالت له -وكانت نعم المعينة- ماذا قالت؟؛ هيئته من و الفتن وكذلك ورقة لما قال له: "يا ليتني كنت فيها جذعاً، هذا الناموس الذي أنزل على موسى"، يعني هذا الذي حصل معه في غار حراء هو الناموس الذي أنزل على موسى ... يعني وحي -ما فيها لعب!- هو وحي، ماذا يستلزم هذا الوحي؟! قال -تهيئة للنبي عليه الصلاة و السلام- : "ياليتني كنت فيها جذعاً" أي كنت باعتبار ولد كي أكون فيها، "جذعاً إذ يخرجك قومك"، فقال عليه الصلاة والسلام "أو مخرجي هم؟"، ماكان يتصور عليه الصلاة والسلام فكانوا يسمونه الصادق الأمين وكان يحكمِّونه فيما بينهم، فكيف يخرجوه - "أو مخرجي هم؟"- فقال: "ما جاء رجلٌ بالذي جئت به قط إلا عندي".

١٩:١٠ إذن المسألة ليست باللعب و الهزل، المسألة مفاصلة، هذه المسالة كما تقدم:

{هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ}، في أي شيء اختصموا؟ هل هي جزئية فرعية، {فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ} إذن الخصومة هنا خصومة عقيدة، دين، إسلام،كفر،هداية وغواية، فإذا كان كذلك فالإنسان سيصاب من شهوات الناس و من يصاب من شهوات الناس يكون فيه ابتلاء، فلابد أن يهيء نفسه و يثبت على دين الله عزّ وجل ولا يتنازل، و سواء كان هذا في باب الترغيب أو الترهيب، بعض الناس يظن فقط ان الفتنة في الترهيب و هذا واقع لا شك؛ الأعداء يستخدمون سياسة الترهيب .. يرهبون

الناس و لذلك أمر الله عزَّ وجلّ بالمقابلة وقال { وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ}[الأنفال:٦٠] من باب المقابلة وهم يستخدمون هذه السياسة لكن هل نرضخ لهم ؟!

٢٠:٠٩ أبو بكر رضي الله كما في حروب الردة لما قيل له "كيف ترسل جيش أسامة والمدينة حولها ما حولهـا؟!".. فهناك ضغوط على خلافة الإسلام وكذا؛ فلو أخر جيش أسامة ولكن أبا بكر رضي الله عنه ثبت وما غـير وما بدل حتى بعد وفاة النبي عليه الصلاة و السلام، وسار على المنهج الذي سار عليه النبي عليه الـصلاة والسلام وقال: "والله لا أحل لواء عقده الرسول صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لو منعوني عناقاً و كانوا يؤدونه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم عليه والذي نفسي بيده لأقاتلن من فـرق بـين الصلاة والزكاة والله الذي لا إله غيره لو جرت الكلاب بأرض أمهات المؤمنين والله لا أتنازل عن هذا الأمر أبدا" ، قال عمر رضي الله عنه كما في الصحيحين: "فما هو والله إلا أن رأيت أن الله عزّ وجل قد شـرح صدر أبي بكر للقتال"، رأى عزيمة رأى ثبات، رأى استمرار وعدم تنازل فأقدم وأقدم الناس معه.

٢٠:٠٢ إذن ... قد يكون الإنسان لما يثبت على دين الله عزَّ وجل يثبت الله به أمة، فلا بد لإنسان أن يـصبر و أن يتقي الله عزّ وجل فيمن خلفه و من وراءه ولهذا فالإمام أحمد رحمه الله لما جاءه تلميذ المغربي، فقال له: "يـا إمام ألم يقل الله عز و جل" - في فتنة خلق القرآن جلد وسجن و ضرب و وضع عليه الحصير و داسوه .. عانى في التعذيب حتى يقول بخلق القرآن - فقال : "يا إمام، ألم يقل الله عزّ وجل {وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَـى التَّهْلُكَةِ}؟" أنظروا إلى هذا الفهم من هذا التلميذ.

فقال له: "أيها الغلام أخرج إلى ساحة قصر الخليفة وانظر". فقال فنظرت فإذا بأمة من الناس كل معه قلم وقرطاس، كلهم يريد أن يكتب ماذا يقول أحمد .. ماذا يقول أحمد ؟ قال "القرآن مخلوق" كتبنا مخلوق! قال "القرآن غير مخلوق" كتبنا غير مخلوق!

قال يا : "أفأنجو بنفسي و أهلك هؤلاء ؟!" .. فثبت رضي الله عنه و لقب بإمام أهل السنة والجماعة رحمه الله تعالى.

٢٢:٣٦ أيها الأحبة؛ كذلك يكون مما يواجهه الإنسان أسلوب الترغيب كما ذكرنا، ولا يشترط أن يكون فقط ترهيباً للأعداء وكذا، قد يأتي الترغيب بأموال وكذا ... كما حصل للنبي عليه الصلاة والسلام حين أخرج ابن اسحاق وغيره بإسناد لا بأس به وصححه ابن كثير رحمه الله وقال أن النبي عليه الصلاة والسلام لَّما صدع بدعوته جاءه كفار قريش وقالوا لعتبة بن ربيعة -أبو الوليد- قالوا له ما صنع هذا الرجل - يعني محمداً عليه الصلاة والسلام- سفه أحلامنا، و سب آلهتنا، فما ينتظر بعضنا إلا أن يميل على بعض بأسيافنا فنصيح صيحة الحبلى -و هي المرأة الحامل- ، فيقتل بعضنا بعضاً.

كأنه يقول أن محمد عليه الصلاة و السلام جاء يفسد بيننا، هذه مفاسد .. يعني يقتل بعضنا ويفرق شملنا بأسلوبهم، فذهب إلى النبي عليه الصلاة والسلام وقال له: لقد سفهت أحلامنا، وسببت آلهتنا، وما تنتظر إلا أن يميل بعضنا على بعض فنضرب أعناقنا بالسيوف؛ ماذا تريد منا يا محمد؟ إن كنت تريد المال أعطيناك، وإن كانت بك الباءة زوجناك أجمل نساءنا، وإن كنت تريد الملك ملّكناك فلا نقطع أمراً دونك .. يعني النبي عليه الصلاة والسلام -بعبارة العصر- بجرة قلم فقط يكتب القرار سياسياً (لا نقطع أمراً دونك) .. فقال عليه الصلاة والسلام وهو ينظر إلى بعيد: (أفرغت يا أبا الوليد؟) قال: نعم، فقال: (اسمع مني): فتلى سورة فصلت -كما تعلمون- حتى وصل إلى قوله تعالى: {فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ} [فصِّلت:١٣] حينئذ قام أبو الوليد فوضع كلتا يديه على فم النبي عليه الصلاة والسلام، وقال: "أنشدك الله والرحم إلا صمت".

٢٤:٣٠ سمع كلاماً ليس بالهين، كلاماً توجل منه القلوب؛ ليس كما ذكركفار قريش سفه أحلامنا، وسب آلهتنا، وفرق شملنا، ليس الأمر كذلك، ولكن انظروا إلى ثبات النبي عليه الصلاة والسلام أمام المغريات، ثبت وما غير وما بدل، وبثباته ثبتت الأمة، وبُلِّغت دعوته عليه الصلاة والسلام.

٢٥:٠٠ ومن أعظم الفتن التي يستخدمها أعداء الله -عز وجل- في إثناء أهل الخير عن دينهم فتنة النفاق والمنافقين، هؤلاء الذين ما سلم منهم النبي عليه الصلاة والسلام في بادئ الأمر، آذوه عليه الصلاة والسلام في أول وصوله إلى المدينة؛ لما قال له عبد الله بن أبي "لقد آذتنا رائحة حمارك" -يقول عن النبي عليه الصلاة والسلام-، ثم "ليخرجن الأعز منها الأذل"، ثم "ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطونا ولا أكذب ألسنة ولا أجبن عند اللقاء"، يقولونها عن من؟ عن أشجع الناس -رمتني بدائها وانسلت- هذه صفات المنافقين، قالوها عن النبي عليه الصلاة والسلام وأصحابه، هل ثنى هذا النبي صلى الله عليه وسلم عن دعوته؟ أو

الصحابة؟ أو تأثروا؟، بل أشد من ذلك كما تعلمون في الصحيحين حديث العُرَنِّيين، قال أنس رضي الله عنه: أسلم تسعة نفر من عُرينة -لكنهم أسلموا ظاهراً كما قال بعدها ولم يسلموا باطنا- فلما أصابتهم الحمى وأمرهم النبي عليه الصلاة والسلام أن يلحقوا بإبل الصدقة، وأن يشربوا من أبوالها وألبانها، وقال: (تشفون بإذن الله)؛ فذهبوا وشربوا منها، فشفاهم الله -عز وجل-، فقتلوا الراعي، وأخذوا الإبل، فحكم فيهم النبي عليه الصلاة والسلام أن تسمل أعينهم، وأن يربطوا بالحَرَّة -حرة المدينة لا يطيقها أي شخص ولا يتحملهاأي إنسان-، ولا يسقون من الماء، ولا يطعمون من الطعام، حتى يهلكوا، نكاية بهم كما صنعوا بهذا الراعي؛ لكن هل هذه الأحداث جعلت النبي عليه الصلاة والسلام ينثني عن دعوته؟ أو يؤخر -كما يقول بعض الناس-؟ أو هذه أولويات يؤجلها أو كذا؟ بعض الناس إذا رأى المنافقين يعجز عندهم.

٢٦:٥٧ ولا بد أن نعلم أيها الأحبة، أن الثبات أمام المنافقين هو من أولى ما يكون الثبات لدين الله عز وجل، قبل الكفار، إذا لم نثبت أمام فتنة المنافقين فالكفار من باب أولى، هؤلاء المنافقون هم من حذر الله عز وجل منهم في فاتحة البقرة وسورة كاملة باسمهم (سورة المنافقون)؛ يثبت الإنسان أمامهم، ولا يتزعزع بدعواتهم، وأن يكل أمره إلى الله -عز وجل- أليسوا هم الذين قالوا: {أَنُؤْمِنُ كَمَا آَمَنَ السُّفَهَاءُ}[البقرة:١٣] فقال الله عز وجل: {أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ} [البقرة:١٣]، كيف يتأثر الإنسان و يكل عن دعوته بسبب المنافقين! والله عز وجل يقول هم السفهاء!، ثم يستهزأون بالذين آمنوا يقولون بألسنتهم: { آَمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴿١٤﴾اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ} [البقرة:١٤،١٥] فلابد أن نثبت، ولا نغير، ولا نبدل، نثبت على دين الله عز وجل، ولا نلتفت لدعوات المنافقين فإنهم آذوا رسول الله عليه الصلاة والسلام، آذوه في ذاته في نفسه، وفي أهله، وفي قصة الإفك قال عليه الصلاة والسلام أنهم آذوه في أهله، ولكن النبي عليه الصلاة والسلام ثبت وصبر وما غير وما بدل، وكذلك الصحابة من بعده فثبتوا على دين الله جل وعلا.

٢٨:١٧ أيها الأحبة؛ كيف نثبت على دين الله جل وعلا؟ كيف يصبر الإنسان ويثبت على دين الله عز وجل ولا يغير ولا يبدل؟

٢٨:٢٧ لا شك أن أول الأمر الإيمان بالله عز وجل: {يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآَخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ} [إبراهيم:٢٧]، نحن نورنا الهداية والثبات {وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ} [إبراهيم:٢٧] الله -عز وجل- لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون .

٢٨:٤٣ كذلك من أسباب الثبات على دين الله عز وجل أن نعرف قدر الدنيا، أن نعرف حقيقة هذه الدنيا وهي على اسمها "دنية"، هي على اسمها لو تأمل المتأمل، هذه الدنيا لابد أن نعرف قدرها، ولذلك فرعون لما آمن السحرة {فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى} [طه:٧٠] ماذا قال لهم؟ ما تكلم، ما طاق ما يحصل أمامه، يسجدون لله -عز وجل- أمامه!، فقال: {قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ} [طه:٧١] هم لم يطلبوا الإذن منه، وهو لم يأذن لهم، لكن إمعاناً في الكبر {قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى} [طه:٧١] هذا أسلوب الترهيب و التهديد، ماذا قالوا له، هل علطول استسلموا وتأولوا كما قال الناس هذه ضرورة وكذا، ودين الله -عز وجل- فيه سعة، وضاق الأمر اتسع، طبق القواعد الفقهية على الناس وقت الحاجات {قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا} [طه:٧٢] على حد قول أحد المفسرين أنه "فتن"، لما علموا هذه الحياة الدنيا وأنها لا تساوي هذا العذاب، وأن عذاب الله عز و جل قادم قالوا {فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٧٢﴾ إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى} [طه:٧٢-٧٣].

٣٠:٢٨ و لكن ردوا عليه وقالوا {وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى} [طه:٧٣] فإذا علم الإنسان حقيقة هذه الدنيا لا يتزلزل ولا يتغير ولا يغير من دين الله عز وجل.

و لذلك بعض الناس الآن - مع الأسف- و نحن في عنقنا أمانة يجب أن نوصلها للعامة، بعض عامة الناس فيه خير و كذا، لكن بالذات مع وسائل الاعلام إذا سمع عن الغرب كم عندهم من السلاح و السلاح النووي و الدبابات و الطائرات و كذا، و يسمع الأخبار المزورة الكاذبة التي تنشر الكذب و الزور إما يقول:

"نحن الآن لازم نغير في ديننا "شوية" .. نخفف منه، حتى يعني ... ما نستطيع نواجه الأعداء ".

مثلما كان ابن سلول في مكة ...و يبدأ يتأول في هذا الباب. لا بد أن نعلم أن هذه الحياة الدنيا و أن نكون مثل هؤلاء السحرة الذين آمنوا {إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا}، فإذا سمع الإنسان من هذه الأهاويل و الأكاذيب و دون علم، صحيح نعلم عن الكفار أن عندهم أسلحة .. و ماذا ؟!

٣١:٣٢ اقرأوا في كتاب الله عز و جل، و اقرأوا ما يحصل من أهوال يوم القيامة أيضاً حتى تعلموا حقيقة هذه الدنيا .. هل طائراتهم و متفجراتهم تقف عند قول الله عزّ و جل {إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ}[التَّكوير:١] ، الإنسان يأخذ من الطاقة الشمسية فإذا الشمس كورت يوم القيامة كيف يفعل الإنسان ؟ {إِذَا وَقَعَتِ الوَاقِعَةُ} [الواقعة:١] {لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ} [الواقعة:٢]، {خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ} [الواقعة:٣]، {إِذَا رُجَّتِ الأَرْضُ رَجًّا} [الواقعة:٤] كل الأرض ترجُّ رجًّا بل تبدل الأرض غير الأرض والسموات، ماذا يحصل بالإنسان؟ يستعين بهذه الأمور .. لاتعني شيء عندنا و لابطائراتهم ولا عندهم "١٠٠ ألف طن!" من مخزونهم، ماذا يعني وماذا يعني؟

ماذا يعني إذا الله عزَّ وجلَّ يقبض السماوات {وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ وَالسَّماوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ} [الزُّمر:٦٧] ماذا يملك من ملك الله عز و جل؟! لا شك أنه لا شيء و لا يملكون من أمره شيء. فإذن إذا علم الإنسان هذا وعلم حقيقة الحياة الدنيا وقدرها لا يتزحزح و لا يضره هذا بإذن الله عزَّ وجلَّ .

٣٢:٣٧ كما وعدتكم، من أعظم أسباب الثبات على دين الله عزَّ وجلَّ وعلى الحق لا بدَّ أن ندركَ قواعد في معرفة الحق، قواعد يدرك الإنسان بها الحق أنت يوم القيامة يا عبد الله مسؤولٌ أمام الله عزَّ وجلَّ في أن تعبده بما أنزل ولست مكلفاً بقول فلان أو فلان، هذه قواعد بيَّنها النبي عليه الصلاة والسلام، أنت بها تعرف الحق و ما تبقى من أمور و فروع والتفاصيل...يُسأل بها أهل العِلم.

لكن الحق ليس كما يقول الناس الآن؛ بعض الناس يقول "الحق ضاع والحق كذا"، ليس هذا بصحيح ألم يقل الله عزَّ وجلَّ {قَدْ جَاءكُم مِّنَ اللّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ}[المائدة:١٥]النور واضح (هداية) والكتاب مبين وكيف يغير الإنسان ويبدل و يزعم أن الحق ليس بظاهر، قد يكون بالنسبة له ليس بظاهر ... فاسأل أهل العلم .

٣٣:٣٢ فهذه بعض القواعد التي يجب أن يلتزم بها الإنسان لمعرفة الحق.

أولاً: أيها الأحبة الحق ثابت لا يتغير ... الحق هو الحق منذ اليوم الأول، منذ أن أُنزِل على النبي عليه الصلاة و السلام {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ}[العلق:١] و أُنزِل على النبي عليه الصلاة و السلام على خلاف رأي المفكرين، {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً} [المائدة:٣]، الحقُّ هو الحقّ عهد النبوة إلى يومنا هذا لا يتغير. فلا يأتي إنسان و يقول: "إن بعض ما كان حقاً في زمان النبي عليه الصلاة و السلام ليس بحق! تغير!، يتغير بتغير الزمان و المكان" من قال هذا؟.

أو أن الحق الذي في عهد النبي عليه الصلاة و السلام هو الآن، لكن إيش .. يقولون لا نستطيع ان نطبقه الآن ..."هو حق لكن ما نطبقه الآن"، و هذه دعوة من الشيطان .. من قال هذا؟ الحقّ هو الحقّ، و النبي عليه الصلاة والسلام ذكرنا في الحديث المتواتر: (لا تزالُ طائفة من أمتي)، "لا تزال" هذا إخبار منه عليه الصلاة والسلام و هو إخبار كوني (لا تزالُ طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لا يضرُّهم من خالفهم ولا من خذلهم)، أيُّها الأحبة لا يضرهم من خالفهم من المشركين و المبتدعة .. ولا يضرُّهم من خذَلهم من بني جلدتهم.

كما ذكرنا قبل قليل من أسباب الوقوع في الفتن ترك الصبر، بعض الناس إذا رأى أهل الخير ذهب معهم وأحسن معهم ثمّ إذا انقلبوا عليه ترك الحق، لا ... أهل الحق و أهل السنة والجماعة لا يضرهم من خالفهم و لا من خَذَلَهم حتى يأتي أمر الله جلّ وعلا.

٣٥:١١ كما تعلمون في قصة شيخ الإسلام إبن تيمية رحمه الله حينما ذهب إلى "هذان" الوالي في ذلك الوقت ودخل مع مجموعة من العلماء عليه -على مائدته- وأكلوا .. ثمَّ رأى إبن تيمية لم يأكل.

فقال: "مالي أراك كففتَ يدَك؟".

قال: "و كيف آكلُ من هذه الأغنام التي أخذها أموال المسلمين"، شوف الجرأة بالحق، شوف بعض الناس يتوقع بعض الأعمال تسبب له مشكلة وكذا، الإنسان لا يتهوّر و لا يسكت عن الحق، بين الحق لأنه عالم من علماء المسلمين يُبَيِّن الحقّ لما سَكت الباقون، فأخذ يناصحه و يعظه إلى أن قال له "هذان" هذا "ادعُ لنا معَك يا شيخ"، شوف كيف رضخ له لما علم أن عنده حق كف يده عنه و ما ولغ في ما وُضع أمامه، فدعا له شيخ الإسلام رحمه الله تعالى، هو دعا له وعليه وقال: "إن كان هذا عبدُكَ جاء ليُصلِحَ البلاد و العباد، اللهم أعنه و خذ بيده و خذ بناصيته إلى البر و التقوى، وإن جاء ليفسد العباد والبلاد اللهم فدمِّره وأهلكه واقطع دابِرَه" فأخذ العلماء معه يؤمنون و "هاذان" يؤمن معهم، الحق حق لا يتغيَّر ولما خرج العلماء قالوا لشيخ الإسلام رحمه الله كيف كان تجلسنا معك، هذه مشكلة نحن في موقف عصيب فقالوا له والله لا

نَصحَبُكَ بعد اليوم لأن مصاحبتك شيء يوردنا المهالك فقال: " و الله و لا أنا، لا أصحَبُكُم بعد اليوم" ما تأثَّر من خذلانهم لما خذلوه، ماقال: "لا لا .. خلاص .. نعود نحن و يد الله مع الجماعة وكذا!" لم يتنازل أبداً لما قالوا لا نصحَبُك قال لا أصحَبكم بقي ثابتاً على مبدأه لأنه يعلم أنه ما أخطأ، هم الذين شذّوا و سيأتينا من قواعد في معرفة الحق، أن الجماعة مع الحق و ليس العكس، الجماعة هي ما وافق الحق و لو كنت وحدك.

٣٧:٢٣ فنقول .. من القواعد أن الحق ثابتٌ لا يتغيَّر كذلك باختصار أن الحقَّ واحدٌ لا يَتَعدد.

لا يمكن أبداً أن نقول أن المسلمون على حقّ و كذلك الكفار على حقّ، من قال بهذه العقيدة فقد كفر بما أنزِلَ على محمد عليه الصلاةُ والسلام، وكما ذكر الإمامُ المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى "من لم يكفّر المشركين أو شك بكفرهم كفر إجماعاً، أو صحح مذهبهم" -كمن يقول عن فرعون: "أنا لا أتكلم فيها ما أدري والله، هوما تكلم فيه .. شكَّ في هذا؛ هذا لا شكَّ أنه كفر بإجماع المسلمين.

٣٨:٠٧ لا بدَّ أن يثق الإنسان أنه على حقّ و أن غيرَه على باطل، ولا يتردد في هذا وليس كما يقول البعض هذا من قبيل الإعتداد بالنفس و هؤلاء السلفيين يعتدّون بنفسهم نحن على حقّ ولسنا على باطل، نعم نقولها ولا نخشى و لا ندسّ رؤوسنا في التراب ... نحن على حق ببيان النبي عليه الصلاة والسلام فوالله لو خالف أحدنا أمر النبي عليه الصلاة والسلام فهو الذي على الباطل فكما قال النبي عليه الصلاة والسلام في الحديث أخرجه أحمد و أبو داوود من حديث ابن عمر رضي الله عنه: (من تَشَبَّه بقَومٍ فهو منهم، وجُعِلَ الذُّلُّ والصغارُ على من خالف أمري وجُعِل رزقي تحت ظل رمحي)، فمن خالف فأمر النبي عليه الصلاة والسلام .. ولو كان في بلاد التوحيد ولو كان عند الكعبة فعليه الذلُّ والصَّغار، ومن خالف أمر النبي عليه الصلاة والسلام ولو كان على أرض المعركة أمام العدو في بلاد المسلمين اليوم و خالف أمرُ النبي عليه الصلاة والسلام فعليه الذُلُّ والصَّغار، ولو كان في أي موضعٍ من المواضع .. في أي مكان لكنه خالف أمرُ النبي عليه الصلاة والسلام بنص حديث النبي عليه الصلاة والسلام فإن عليه الذلُّ والصَّغار لماذا؟ لأنه خالف أمرَ النبي عليه الصلاة والسلام.

ما ينفعك المكان؛ في بيت الله الحرام أو غيره[1].

أبو سليمان العتيبي

[1] إلى هنا تنتهي المادة الصوتية